الباب الثاني

ذكر من خلصهم الصدق من الوقوع في العشق والرذيلة

الباب الثاني
ذكر من خلصهم الصدق من الوقوع في العشق والرذيلة

لما ذكرت أحوال العشاق المخذولين ونهاياتهم المرة أحببت أن أتبعها بقصص أهل الفضيلة الذين عصموا عن الوقوع في الرذيلة، وهم المؤمنون الموفقون الذين ثبتوا في طريق الهداية فأنقذهم الله من الغواية بقدر صدقهم معه.

روى البخاري في صحيحه من حديث الْحَارِثِ بْنِ سُوَيْدٍ قال حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ حَدِيثَيْنِ أَحَدُهُمَا عَنْ النَّبِيِّ ﷺ وَالآخَرُ عَنْ نَفْسِهِ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ فَقَالَ بِهِ هَكَذَا»

القصة الأولى
قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز

قال تعالى: ﴿وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ (٢٣) وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ (٢٤) وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٥) قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (٢٦) وَإِن كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢٧) فَلَمَّا رَأَىٰ قَمِيصَهُ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ (٢٨)

يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ (٢٩) وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَن نَّفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ (٣٠) فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ (٣١) قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ (٣٢) قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ (٣٣) فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [يوسف ٢٣-٣٤]. فالله صرف عن يوسف عليه السلام السوء والفحشاء لأنه من عباده المخلصين واختار يوسف السجن على المعصية فصرف عنه كيدهن إنه هو السميع العليم.

القصة الثانية
قصة المرأة الجميلة مع الربيع بن خيثم

حُكي في مصارع العشاق عن محرز أبي القاسم الجلاب قال: حدثني سعدان قال: أمر قوم امرأة ذات جمال بارع، أن تتعرض للربيع بن خيثم، فلعلها تفتنه، قال: وجعلوا لها، إن هي فعلت، ألف درهم، فلبست أحسن ما قدرت عليه من الثياب، وتطيبت بأطيب ما قدرت عليه، ثم تعرضت له حين خرج من مسجده، فنظر إليها في تلك الحال، فراعه أمرها وجمالها، ثم أقبلت عليه، وهي سافرة، فقال لها الربيع: كيف بك لو نزلت الحمى بجسمك فغيرت ما أرى من نورك وبهجتك؟ أم كيف بك لو نزل بك ملك الموت فقطع منك حبل الوتين؟ أم كيف بك لو سألك منكر ونكير؟ فصرخت صرخةً، وخرت مغشياً عليها، قال: فوالله لقد أفاقت وبلغت من عبادتها أنها يوم ماتت كانت كأنها جذع محترق).

القصة الثالثة
قصة الشاب الهارب من الفاحشة

نقل بعضهم تواتر خبر الشاب خالد المسكي مع شابة شغفت بحبه فقال: (كان (خالد المسكي) شابًا جميلاً تقيًا ورعًا يكسب قوته بعمله وتعبه، يحمل بضاعته على رأسه كبائع متجول، فانبهرت بجماله إحدى النساء ودعته لبيتها بحجة أنها تريد الشراء منه، وغلقت الأبواب وقالت إن لم تفعل بي فضحتك أمام الناس واتهمتك أنك تريد أن تهتك عرضي، ولما لم يستطع الخلاص منها بشتى الطرق أظهر لها الموافقة وطلب منها السماح له بدخول الحمام من أجل أن يزيل الأوساخ والأدران فسعدت بذلك ووافقت، فدخل الحمام وبحث عن مخرج من هذا الابتلاء فوجد حيلة تدل على رجاحة عقله وعلى قوة إيمانه، حيلة بها من القذارة الظاهرة لكن لا ضير بها إذا كانت من أجل الفرار من معصية الله، فلطخ جسده بالغائط وتلوث فأصبح يحمل رائحة كريهة ومنظرًا بشعا فخرج إليها فلما رأته على هذه الحالة استقذرته وأمرته بالخروج من بيتها وطردته، وفر بنفسه وضحى بجمالها ومالها بل ترك بضاعته عندها لينجو بدينه. فأنعم الله عليه بدلا من هذه الرائحة الكريهة برائحة زكية كأنها المسك حتى أصبح الناس يعرفون قدومه عند شم رائحته وأصبح يسمى عند الناس بخالد المسكي[1].

قلت: هكذا يفعل الإخلاص في قلوب المؤمنين قال الله عن نجاة يوسف عليه السلام من امرأة العزيز: ﴿**وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَن رَّأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**﴾ [يوسف: ٢٤].

وقال الشاعر:

وأحور مخضوب البنان محجب — دعاني فلم أعرف إلى ما دعا وجها
بخلت بنفسي عن مقام يشينها — ولست مريدا ذاك طوعا ولا كرها

(١) من أخبار المتنكسين، ص ٢٥-٢٦. وأصلها في المستطرف.